إسهامات المستشرق "بيرجستراسر" في خدمة اللغة العربية والثقافة الإسلامية

Contributions of orientalist "Bergstraser" in the service of the Arabic language and Islamic culture.

أحمد لطمن *

تاريخ الإرسال: 2021/01/25	تاريخ القبول: 2021/10/28	تاريخ النشر:2022/05/01

الملخص:

يعد "بيرجستراسر" من بين المستشرقين الألمان الذين أسهموا في التقارب الحضاري والتبادل المعرفي الثقافي بين الشرق والغرب، له مواقف ايجابية تخدم اللغة والثقافة الإسلامية يحسن التنويه إليها وإبرازها، ومما نعتقده غير جازمين أن الاستشراق الألماني هو الأكثر موضوعية ومقاصده كانت أقل ميلا للاستعمارية، بل بالعكس تماما من ذلك فهناك من قدم خدمات كبيرة للغة والثقافية العربية والإسلامية، هذا ما جعلنا نحاول إلقاء الضوء على هذه الشخصية الألمانية التي لم تحظ بالاهتمام الكافي رغم الإسهامات القيمة لها، ومما يقودنا لطرح تساؤلات عديدة، فمن هو (جوتهلف برجستراسر وكيف كانت حياته العلمية ، ومنهجية عمله، أهم مؤلفاته وما منهجه في تحقيق المخطوطات ؟ وما المقصود بفكرة الهوامش النقدية في القرآن الكريم التي تبناها؟ وكيف ساهمت هذه الجهود في خدمة اللغة والثقافة العربية الإسلامية عموما؟

الكلمات المفتاحية: الاستشراق، المستشرقون، الهوامش النقدية في القرآن الكريم، تحقيق المخطوطات.

المؤلف المرسل: أحمد لطمن ahmedlatmen@gmail.com

* جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل ahmedlatmen@gmail.com

Abstract:

Bergstrasser is among the orientalists who have contributed to the civilizational rapprochement and the exchange of knowledge and culture between East and West. He has positive attitudes that serve the Islamic language and culture. This is why we tried to shed light on this German character that did not receive enough attention despite the valuable contributions to it. And what leads us to ask many questions, who is (Goethelef Bergstraße) and how was his scholarly life, his travels, his relationship with his professor (Fischer) and his work methodology, his most important statements, his most important writings on, and what is his approach to the verification of manuscripts? How did these efforts contribute to serving the Arabic-Islamic language and culture.in.general?

Key words*: Orientalism, Orientalists, critical margins, manuscript edits.*

*** *** ***

. مقدمة:

الاستشراق عموما في اللغة العربية يعني إظهار ما هو مخفي في العالم الشرقي من ثقافة وفنون ودين وما إلى ذلك من طرف باحثين غربيين، و الاستشراق (Orientalism) في الاصطلاح هو دراسة كافّة البنى الثّقافيّة للشّرق من وجهة نظر غربية، والاستخدام الأغلب هو دراسة الشرق في العصر الاستعماري ما بين القرن الثامن عشر والتاسع عشر. لذلك صارت كلمة الاستشراق تدل على المفهوم السلبي وتنطوي على التفاسير المضرّة والقديمة للحضارات الشرقية والناس الشرقيين. وجهة النظر هذه مبيَّنة في كتاب إدوارد سعيد الاستشراق (المنشور سنة 1978)، لا يمكن إنكار الجانب السلبي للاستشراق، فلم تكن غاية أغلب المستشرقين استكشافية علمية، أو بدافع الفضول لكنها للأسف كانت لأغراض استعمارية ضيقة، لكن هذا لا ينفي أن هناك من له حسن النية ومن هم متأثرون بالشرق بما يحمله من زخم تاريخي وحضاري وأفادوا منه بشكل أو بآخر، بل هناك من تأثروا أيما تأثر وحاولوا نقل تجربتهم ونقل الواقع كما هو دون تزييف وتغليط وتشويه، خاصة ما تعلق بالألمان الدين يعد استشراقهم متميزا ومميزا عن باقي الدول الغربية، المتشبعة بالروح الاستعمارية العنصرية، والنظرة الدنيا و الاستباقية للدول الشرقية، لذا

كانت كتاباتهم تفتقر للموضوعية والعلمية، وكانت مقاصدهم تتراوح بين التشكيك في العقيدة الإسلامية وصرف الناس عن دينهم، وزرع روح التخاذل والضعف في نفوسهم، وكذا محاولة فهم تفكير الشعوب لغرض التحكم وإدارة الغزو، وبث التفرقة، وزرع فتيل الحروب الداخلية، لهذا لا يمكن الحكم على الاستشراق والمستشرقين هكذا مرة واحدة ، فهو يختلف بين الإيجاب والسلب حسب الدول وحسب المستشرق، ومما نعتقده غير جازمين أن الاستشراق الألماني هو الأكثر موضوعية ومقاصده كانت أقل ميلا للاستعمارية، بل بالعكس تماما من ذلك فهناك من قدم خدمات كبيرة للغة والثقافية العربية والإسلامية، ومن بين أبرز المستشرقين الألمان (كارل بروكلمان، فيشر، نولدكه، برجستراسر...) ووقع اختيارنا في هذا البحث على المستشرق "جتهلف برجستراسر" فمن هو؟ وما هي أهم مؤلفاته وما منهجه في تحقيق المخطوطات ؟ وما المقصود بفكرة الهوامش النقدية في القرآن الكريم التي تبناها؟ وكيف ساهمت هذه الجهود في خدمة اللغة والثقافة العربية الإسلامية عموما؟

1 مفهوم الاستشراق، نشأته ، وأهدافه.

1.1 مفهوم الاستشراق لغة/ اصطلاحا

- **الاستشراق لغةً**: الاستشراق من الفعل الثلاثي (شَرَقَ) يقال : شرقت الشمس : إذا طلعت من الشرق[1]. وشَرَّقَ: أخد في ناحية المشرق، والشرق وجهة شروق الشمس من الشرق[2].

فكلمة (استشرق) تعني طلب الشرق، وأصله فعل ثلاثي (شرق) مزيد بثلاثة حروف (است) والَّتي تفيد الطلب كما في استغفر، طلب الغفران، واستفهم طلب الفهم .

- **الاستشراق اصطلاحاً**: لقد اختلف الباحثون في تحديد مفهوم الاستشراق، فمنها من يتسمُ بطابع العموم، من حيث هو دراسة علوم الشرق عامة، ومنها ما يتسم بطابع التخصيص؛ أي تخصيصه بعلوم الشرق الاسلامي.

يقول أحمد الزَّيات "يراد بالاستشراق دراسة الغربيين لتاريخ الغرب، وأممه، ولغاته، وآدابه، وعلومه، ومعتقداته، وأساطيره"[3]. فتعريف الزيات يتسم بالعموم مما يجعل الحضارة الصينيّة تنطوي تحت الاستشراق. وهذا التعريف نفسه عند رولان بارت فقد اعتبر الاستشراق علم العالم الشرقي عموما.

بينما في الموسوعة الميَّسرة "للاستشراق" فقد جاء تعريف الاستشراق على أنَّه" التيار الفكريُّ الذي تمثَّل في الدراسات المختلفة عن الشرق الاسلامي، والتي شملت حضارته، وآدابه، وثقافته ، ولغاته(خصوصا اللغة العربية) واديانه (القرآن والسنة)"[4]. ونستنتج من هذا أنَّ الاستشراق (Orientalisme) تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق من أجل اجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الاسلامي ، خاصة الدراسات المتعلقة الدين واللغة والمجتمع .

- **المستشرقون** : هم جماعة من علماء الغرب تخصصوا في لغات الشرق وعنوا بالبحث فيها، وتخصصوا في دراسة اللغة العربية، والحضارة العربية، وبقايا العالم العربي، كما اهتموا بالدين الاسلامي[5].

ويصف مالك بن نبي المستشرقين بأنهم" الكتَّاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الاسلامي والحضارة الاسلامية"[6]

2.1 نشأة الاستشراق وأهدافه.

لم يستطع المؤرخون أن يتفقوا على تحديد بداية الاستشراق ، فبعظهم يرى بأنّه يعود إلى الراهب الفرنسي " جربيردي أولياك"(938-1001) والذّي قصد الأندلس الإسلامية، أمَّا بعض المؤرخين أرجع بداية الاستشراق إلى القرن الثاني عشر ميلادي، أمّا مفهوم الاستشراق فقد ظهر في أوربا نهاية القرن الثامن عشر، إذ ظهر أولا في إنجلترا (1779)، ثمّ في فرنسا (1799)، وفي سنة (1838) أُدرج مصطلح الاستشراق في قاموس الأكاديمية الفرنسيّة[7]. ويجمع الكثير من الباحثين في مجال الحركة الاستشراقيّة أنّ القرن الثامن عشر والتاسع عشر هما عصرا الازدهار الحقيقي للحركة الاستشراقية.

وفي منتصف القرن التاسع عشر قام المستشرقون بإنشاء جمعيات للدراسات الاستشراقية، في مختلف بلدان أروبا، وكذلك أمريكا، فتأسست الجمعيّة الآسيوية في باريس سنة (1822)، ثمّ الجمعية الملكية الآسيوية في بريطانيا وإيرلندا سنة (1823)، وبعدها الجمعية الشرقية الأمريكية سنة (1842)، وبعدها الجمعيّة الشرقيّة الألمانيّة سنة (1845)"[8].

وقد تأسس الاستشراق بوصفه مؤسسة فكرية بعد أن فشلت الحروب الصليبية" إذ تعززت قناعة رجال السياسة والكنيسة في الغرب، بأن العالم الاسلامي لا يمكن اخضاعه

بالقوة، فلجؤوا إلى أسلوب دراسة أحوال المسلمين لتسهيل السيطرة عليهم، واختراق العالم الاسلامي بكل سهولة، ومن تم احكام السيطرة عليه "[9].

وبهذا كان المشروع الاستشراقي نابعا من علاقة الكنيسة ورجال السياسة أو السلطة عموما في أروبا أو امريكا، ونتيجة لهذا تأسست المعاهد، ومراكز الدراسات والبحوث بدعم وتشجيع من الدولة، والهدف منه تشكيل خلايا متشابكة لتخدم غرضا واحدا مشتركا وهو سيطرة الغرب على الشرق واخضاعه بكل سهولة .

2 برجستراسر وحياته العلميّة:

مستشرق ألماني مسيحي (بروستنتي)، برز في نحو العبرية واللغات السامية بعامة وعني بدراسة اللهجات العربية، وبقراءات القرآن[10] ورغم مسيحيته إلا أنه دافح عن اللغة والثقافة العربية، "ولد في 5 أفريل 1886 بضاحية من ضواحي (بلاون)بساكسونيا(...) استعار نشريات المجمع العلمي من جامعة (بليبزج)، فتعلم منها اللغة المصرية القديمة واللغة الآشورية واللغة العربية"[11] وقد احتك بأستاذ اللغات الشرقية "فيشر" حين كان بجامعة (ليبزج) ونال بها شهادة الدكتوراه ، برسالة في النحو العربي عن استعمال الحروف النافية في القرآن الكريم، سنة (1911م) ثم انتقل مدرسا بنفس الجامعة."[12] وطبعا كان تأثير المستشرق "أوقست فيشر" كبيرا على "برجستراسر" خاصة في تحديد توجهاته في دراسة العربية والاطلاع واستكشاف المشرق العربي الإسلامي، إضافة إلى تعامله واحتكاكه مع "نولدكة" وهو مستشرق شهير، " قام برحلة إلى إستنبول وسوريا ومصر، وفي نهاية سنة (1915م) دُعي أستاذا بجامعة إستنبول، وكلفته وزارة الحربية الألمانية بالقيام برحلة استكشافية لسوريا وفلسطين"[13] .

وقد جاب عدة دول مشرقية، سافر إلى (الأستانة) سنة (1914م) ثم إلى سوريا، وتنقل في أرجائها باحثا عن العلم، وبحث عن السبب في اختلاف اللَّهجات من منطقة إلى أخرى، كما سافر إلى (لبنان) و (فلسطين)، وألف كتابا في جغرافية اللهجات العربية الدارجة في سوريا وفلسطين نشر عام(1915). تعلم الآرامية من أفواه أهل (معلومة) وهي قرية صغيرة بضواحي دمشق، وألّف فيها بعض الكتب والرسائل منها: بعض المتون في اللهجة الآرامية الدارجة مع ترجمة ألمانية (نشر عام 1915)، وقاموس في اللهجة الآرامية الدارجة بمدينة

معلومة (نشر عام 1915)، وبعدها انتقل إلى مصر ومكث في القاهرة أسبوعا قبل الحرب العالمية الأولى بأيام، وغادرها إلى (تريستا) وكانت روسيا قد أعلنت الحرب.

وقد ضاعت العديد من كتبه التي اقتناها من دمشق وبيروت والقاهرة بسبب هذه الحرب، ثم عمل كأستاذ بدار الفنون التركية، واستمر بها أواخر الحرب الأولى، ومر عبر محطات أخري كثيرة ترك بصمته في كل مرة، زار مكتبة الظاهر بيبرس، وألّف كتابا في (أصوات لهجة دمشق) ملحقا بعض المتون في هذه اللهجة، نشر عام(1924)، وسافر إلى حيفا والناصرية وطبرية[14]، وغداة انتهاء الحرب العالمية الأولى عيّن كأستاذ مساعد بجامعة (برلين)، وفي سنة 1919 عيّن استاذا بجامعة (كنجزبرج) في بروسيا الشرقية، ومنها أستاذا في جامعة (برسلاو) سنة (1922م) وفي السنة التالية صار أستاذا بجامعة (هدلبرغ)، وفي سنة 1926 أستاذا بجامعة (ميونيخ)[15] ، وفي العام الجامعي 1930/1929م دعته كلية الآداب بالجامعة المصرية القديمة، لإلقاء محاضرات بها في موضوع هذا الكتاب، ثم دعته مرة أخرى في العام الجامعي 1932/1931م، ليقي بها محاضرات عن فن (تحقيق النصوص)، وقد نشرت هذه المحاضرات في كتاب بعنوان (نقد النصوص ونشر الكتب) في مركز تحقيق التراث، بدار الكتب المصرية سنة (1969)"[16] .

كان "برجستراسر" يكره (هتلر) ودعوته النازية، وكان لا يرى مانعا من حمل بندقيته لمحاربتهم، فدفع هتلر إليه بمن يقتله، وكان مغرما بتسلق الجبال، في إحدى المرات حينما كان يتسلق الجبال، ومعه طالب من طلبته، إذ تعلق الطالب بقدمه، فهوى من ارتفاع شاهق إلى قاع الوادي، في شهر أغسطس 1932م.[17]

ويعد برجستراسر من الأوائل الذين خاضوا في فن المخطوطات ، وذلك من خلا ل المحاضرات التي ألقاها في القاهرة على طلبة اللغة العربية سنة 1931، حيث لقنهم أسس وأصول هذا العلم، هذه المحاضرات التي نشرت فيما بعد والتي جمعت في كتاب بعنوان أصول نقد النصوص ونشر الكتب ، وهذا ما يدل على السبق الذي حقه المستشرقون الألمان في تحقيق المخطوطات، وهم أول من اهتم بوضع الأصول والقواعد الخاصة بتحقيق المخطوطات وأخرجوا بعضها ككتاب الفهرست لأن النديم، الذي حققه فلوجيل سنة 1871، وكتب معجم البلدان لياقوت الحموي والذي حققه (فستفلد) سنة 1868[18].

3 مؤلفات برجستراسر.

لم يتخصص المستشرق الألماني " برجستراسر" في جانب معرفي واحد، وإنما كانت له تخصصات عديدة، تظهر من خلال مؤلفاته القيِّمة، وخاصة في الدراسات اللُّغوية و القراءات القرآنيّة التي سنحاول التركيز عليها .

1.3الدراسات اللُّغوية. له مؤلفات عديدة منها:

أ/ حروف النفي في القرآن الكريم: وهي عبارة عن أطروحته للدكتوراه، طبعها في جامعة (ليبزنج) بألمانيا عام 1911م[19].

ب/ التطور النحوي للغة العربيَّة: هذا الكتاب عبارة عن محاضرات دُعيَّ "برجستراسر" لإلقائها في الجامعة المصرية القديمة عام (1929م). وقد قدّم هذه المحاضرات بقوله" أيُّها السادة إنّ الغرض من محاضراتي التي سأُلقيها عليكم هو درس اللِّسان العربي من الوِجهة التاريخيَّة؛ أي من جهة نشأته، وتكونه، وأصول حروفه، وأبنيَّته، وأشكال الجملة، والتغيُّرات التي وقعت فيه مع توالي الزمان "[20].

كما تحدث المؤلف في هذا الكتاب عن قضايا تتعلق بالقرآن الكريم، ومنها الباب الذي خصصه للمفردات التي يزعم أنّها دخيلة على اللُّغة العربية وقد أُخدت من مجموعة من اللغات مثل الفارسية والحبشية والآرامية[21].

ج/ قواعد العربية لأحمد بن فارس :

نُشرت هذه الدراسة في مجلة (Islamica) عام 1925م[22].

د/ نقد مفصّل لنشرة وترجمة وليم طومسون للترجمة العربية لشرح لبس الرومي على المقالة العاشرة من إقليدس ، وهي الترجمة والنشرة الّتي صدرت في جامعة (هارفرد) عام 1930م[23].

2.3 اللَّهجات

عندما سافر " برجستراسر" إلى بلاد الشام تعلّم عدة لهجات عربية وكان متقنا لها، الشيء الذي دفعه إلى البحث فيها والكتابة حولها ، وقد كانت له مجموعة من المؤلفات في ميدان اللَّهجات منها :

أ/ المدخل إلى اللُّغات السامية: وقد كان هذا الكتاب الأساس في المحاضرات التي يلقيها على طلابه، ولهذا جاء الكتاب مدرسيا، اضافة إلى كون الكِتاب يحتوي على حكايات باللغة الآرامية الحديثة ونصوص أخرى من لهجة قرية معلولة[24]، كما نُشر الكتاب على شكل قاموسا في اللهجة الآرامية الدارجة بمدينة معلولة سنة 1915م.

ب/ أطلس لغوِي لسوريا وفلسطين : فقد قام بعمل تسجيلاته كلها بنفسه بعد أن حصل على اجازة من جامعة (ليبزج) " وهو عبارة عن (42) خريطة تفصيلية ، وخريطة واحدة اجمالية ، وذكر في مقدمة أطلسه أنَّ الدراسات السابقة في اللهجات كانت دراسات مستقلة ، تُعنى بدراسة كل لهجة على حدة"[25] .

ج/ اللغة العربية الدارجة بدمشق : وقد نُشر هذا الكتاب عام 1924م[26].

د/ الأصوات في لهجة معلولة : نشر هذا الكتاب في ميونخ عام 1933.

ه/ الكتابة الكوفية : نُشر عام 1919[27].

و/ تجديد كتاب جيسينيوس : "هو كتاب محافظ معتمد في النحو العبري، ويعتبر كتابا تاريخيا في اللغة العبرية ولكنه لم يتمكن من الانتهاء منه إلا من جزأين، الأول صدر عام 1918 والثاني عام 1926م "[28].

3.3 في الفقه .

إنّ ما يميز المستشرق "برجستراسر " هو اشتغاله العميق بمسائل الشريعة الإسلاميّة ود عبّر عن آرائه من خلال الكتب والمقالات التي ألفها في هذا المجال منها :

أ/ بدايات وسمات الفكر التشريعي في الإسلام : في هذه الدراسة يقرر أنه علينا أن ننظر إلى الفتاوى في الفقه الإسلامي على أنها أصيلة في الإسلام، وعلينا أن نفهم الفقه الإسلامي على أساس أنه نابع من الأوضاع التاريخية المحليّة الخاصة بالبلاد الإسلامية ومن روح الدين الإسلامي[29].

ب/ حول منهجية البحث في الفقه: دعا "برجستراسر" إلى "أخد موضوع واحد من موضوعات كتب الفقه وتتبع ما كتب فيه من كتب، وأدليَّ فيه من أقوال طوال تاريخ الإسلام في المذاهب والمدارس الفقهية المختلفة "[30].

ج/ الفقه على مذهب أبي حنيفة : يمتاز هذا الكتاب بوضوحه ودقة تعابيره، وهو الكتاب الذي قام بنشره (شاخت) عام 1935م [27][31].

د/ الفقه الإسلامي : نُشر في مجلة الإسلام عام 1925م وفي مجلة (Islamica) عام 1926م[32].

4.3 في علوم القرآن والقراءات.

لقد حظيت الدراسات القرآنية باهتمام " برجستراسر" وخاصة في آخر حياته، وكان له في هذا المضمار مساهمات عديدة ومتميّزة، وقال الدكتور عبد الرحمان بدوي: " ربما يكزن نشاطه غي هذا المجال – الراءات القرآنية- أبرز انتاجه ، وأكثره دوما "[33]. وقد تنوع انتاجه وتأليفه في هذا الحقل ما بين الدراسات، ونشر النصوص ومنها:

- قراءة القرآن في القاهرة : وهو مقال نُشر في مجلة (Der Islam) في السادس عشر من أغسطس عام (1933م)[34]. وقد تحدث في هذه المقالة عن طبعة المصحف التي قام بها الأزهر .
- قراءة الحسن البصري للقرآن: نُشر في مجلة (Islamica)العدد الثاني من عام (1926م)، بالإضافة إلى " تاريخ قرات القرآن" الذي نُشر عام (1926م)[35].
- القراءات الشاذة في كتاب المحتسب لابن جنّي : وهي عبارة عن محاضر جلسات الأكاديمية البافارية للعلوم في (منشن) ، القسم الفيلولوجي التاريخي عام (1933م)[36].

كما برع "برجستراسر" في نشر أمهات الكتب العربية في القراءات منها :

- ابن خالويه" القراءات الشاذة في القرآن" : ظهر ضمن مجموعة النشريات الإسلامية التي كان يصدرها المعهد الألماني في استانبول[37].
- ابن الجزري " طبقات القرَّء " : وقد صمم برجستراسر مشروعا كبيرا لعمل جهاز نقدي لنص القرآن، بعد صدور الطبعة المصرية الرسمية التي أصدرتها الحكومة عام(1924م)، وسعى لإنشاء مركز للقيام بهذا العمل، لكن وفاة برجستراسر المفاجئة حال دون اكمال العمل[38].
- الجزء الثالث من " تاريخ القرآن" : "وهو أهمُّ كتبه، ففيه نشر برجستراسر أهمَّ أراءه حول القرآن والقراءات والمصاحف، ولقد بدأ برجستراسر بإكمال تاريخ النص القرآني لـ" نولدكه" بعد وفاة "سلفه شفاللي" فكتب الجزء الثالث على نحو جديد،

ولكنّه مات قبل أن يكمله وينشره، فأكمله تلميذه " برنسل" (Prenzl) وأخرجه باسم (تاريخ نص القرآن)"[39].

وهناك من المستشرقين من قالوا أن برجستراسر هو من قام بتأليف الجزء الثالث من الكتاب أمثال(يوهان فوك) و (بروكلمان) و (شاخت) و(رودي بارت)[40].

وقد كان هذا الكتاب بأجزائه الثلاثة له أهميَّة ومكانة كبيرة في الاستشراق عموما، وقد احتوى الجزء الثالث على فصول ثلاثة.

جاء الفصل الأول بعنوان الرسم ، تحدث فيه عن (أخطاء النص العثماني – صناعة النسخ العثمانية – ضبط الكتابة – القراءات غير العثمانية). وجاء الفصل الثاني تحت عنوان القراءة تحدث فيه عن (مسائل أساسية – القراءة والقراءات- كتب القراءات). أمَّ الفصل الثالث فكان عنوانه مخطوطات القرآن، وعالج فيه (الوضع الراهن لأبحاث المخطوطات – خط المصاحف القديمة – تاريخ المخطوطات وتحديد مكان كتابتها – نُسخ القرآن الحديثة)[41].

4/ منهج "برجستراسر" في تحقيق المخطوطات .

يتضح منهجه في تحقيق المخطوطات من خلال المحاضرات الشهيرة التي ألقاها على طلبة الماجستير، وكان يحضرها الأساتذة نظرا للمكانة العلمية التي يحوزها برجستراسر في تحقيق المخطوطات خصوصا، حيث حضرها طه حسين ومحمد حمدي البكري بغرض الإفادة والمراجعة والجمع فيما بعد، وسنحاول أن نتتبع منهجه من خلال ما تضمّنه كتابه السابق الذكر، فما هي الخطوات والآليات التي يستخدمها في تحقيق التراث ونشر الكتب وكيفية التعامل مع المادة العلمية والتاريخية؟ فقد قسّم الكتاب غلى ثلاث أبواب رئيسية، الأول في النسخ ، والثاني في النص، والثالث في العمل والإصلاح، وسنحاول ان نقف عند أبز ما ورد في هذه الأبواب، فمما اعتمده هو المفاضلة بين النسخ، فكل نسخة لها قيمة تختلف عن النسخ الأخرى وهنالك نسخ بلا قيمة، وللمفاضلة بين النسخ هناك قواعد محددة منها ما يلي:

تفضيل النسخ الكاملة على الناقصة والواضحة على الغامضة والقديمة على الحديثة، والنسخ التي قوبلت ببعضها أفضل من النسخ التي لم تقابل[42] ، ويرى "برجستراسر" أن هناك الكثير من الحالات تصرّف فيها الناشرون المستشرقون في تحقيق المخطوطات

العربية، فيقعون في أغلاط كثيرة ويوضح ذلك بقوله:"...لذلك فإن الناسخ لا يكاد ينسخ نسخا صحيحا إلا ما يفهم معناه، لهدا نشهد كثرة التخريف في الأعلام وهذا مشهور يشاهد في الكتب التاريخية، ونحن نستعمل في هذه الحالة كمعيار للكتب العربية التي يوجد بها أعلام، فإدا وجدنا النسخة يكثر فيها التعريف والتغيير في أسماء الأعلام كان الجدير بنا أن نثق بها في سائر النص"[43] ، ويعد "برجستراسر" من المتمكنين في هذا العلم حيث تحدث في كتابه عن مقاييس تعتبر ركائز، كما أشار لأهمية شخصية الناسخ التي لها دور في سلامة المخطوط وكما يحدد أهم الصعوبات والعوائق التي تصادف المشتغلين على هذا الفن.

أما المرحلة الثانية بعد النسخ فهي النص، يؤكد على اهمية هذه الخطوة المكملة ففي الأولى من النادر التمكن من ترتيب سلسلة لنسب النسخ، فلا تتضح نسبتها والعلاقة بينها أو نجد في الواحدة رؤية مزدوجة من أصول أو عدة أصول، يرى أنه إن لم يفهم النص فيكف يمكن التمييز بين الصحيح وغير الصحيح، ويعتمد النقد والتصحيح على أسس منها: معرفة اللغة والأسلوب الذي ينبني عليه النص أو الكتاب، كذلك التنقيط فهو من أهم الوسائل التي يستعين بها الناقد في التمييز ين النصوص وفهمها، كذلك ما تعلق بالتفليق، وهو التعبير عن المعنى بعطف الضدين على بعضهما، لأن المعنى يفلق إلى فلقين كقولنا (كل فصيح وأعجمي) و(ممن أطاع وعصا)، إضافة إلى إصلاح التشكيل، أخطاء النساخ، التحريف، الخطأ في الإملاء، الاخطاء النحوية، الخلل في النسخ[44] .

أما المرحلة الثالثة في منهجية عمله هي العمل والإصلاح، فهو يتبع في هذه الخطوة العالم الألماني (شاهلين) المختص في علم الآداب اليونانية والرومانية، وتقوم تقنية الإصلاح عنده على مجموعة من المبادئ، أبرزها الإصلاح في الفهارس والمعاجم المصنفة للكتب المنشورة والمعروفة، وما إذا كان الكتاب قد سبق نشره، ويقترح مراجعة كتاب كارل بروكلمان (تاريخ الآداب العربية) ، فهو كتاب جامع وموسع عن الكتب العربية، كما اشترط معرفة فهارس التي تضم المخطوطات [45] كما يتعيّن سؤال رجال العلم وأهل التخصص عمّا يعرفونه كما حدث له مع كتاب (إرشاد الأريب في معرفة الأديب) لياقوت الحموي الذي تحصّل على أجزاء منه بمسائلة أهل العلم، كما قدّم برجستراسر لطلبته جملة من التقنيات منها المقابلة؛ مقابلة النسخ بعضها ببعض خاصة مع التقدّم التكنولوجي الذي يسهل الحصول على هذه النسخ، كذلك تقنية الإملاء العربي، فعلى

المحقق الاطلاع على مختلف الخطوط العربية وطريقة كتابتها، وتاريخها وطريقة تطورها في الكتابة، كذلك الحال بالنسبة للترقيم نظرا لأهميته البالغة في الفصل بين الجمل وبين المتن والشرح، كما اهتمامه على الإرجاع والإحالة مع ذكر التفاصيل التي تجعل المراجع لا يجد صعوبة ويقوم بعمله بسرعة، وهو ما يصطلح عليه اليوم بالفهرسة(فهرس، الأعلام، الأماكن، الموضوعات...).[46]

5/ مشروع الهوامش النقديَّة للقرآن الكريم.

تحدث برجستراسر في كتاب تاريخ القرآن عن خطة لوضع الهوامش النقدية للقرآن الكريم، وفي عام (1933) وبعد صدور الطبعة الرسمية للقرآن الكريم من طرف الحكومة المصرية سعى لدى المجّمع لإنشاء مركز خاص بهذا العمل، وكتب مخططا وافيا مفصلا عن هذا المشروع[47] وتتلخص فكرة الهوامش النقدية في وضع حواشي للقرآن الكريم تضم القراءات وقصد بذلك تقديم عرض واف للقراءات المأثورة اعتمادا على المراجع العربية، ولم يكن يريد الاقتصار على القراءات السبع أو العشر، إنما أراد كذلك وبقدر الإمكان عرض ما يسمى بشواذ القراءات، إلى جانب أنه أراد أن تشمل الحواشي على دراسات لمخطوطات عربية للقرآن الكريم وعلى الأخص للمصاحف القديمة المكتوبة بالخط الكوفي[48] حيث قام "برجستراسر" بتصوير العشرات من المخطوطات العربية في القاهرة واسطنبول والعديد من المتعلقة بالقراءات بيد أن وفاته حالت دون الوصول إلى إتمام المشروع، وقد تابع (أوتو برتسل) خطة الهوامش النقدية، وتحدث عنها بالتفصيل في مجلة (إسلاميكا) عام 1934م، وفي رسالة بعث بها(برتسل)إلى المجمّع العربي في دمشق يقول: "لقد نوينا تسهيلا لمحبي الاطلاع أن ندوّن كل آية من القرآن الكريم في لوحة خاصة تحتوي مختلف الرسم الذي وقفنا عليه في مختلف المصاحف مع بيان القراءات المختلفة التي عثرنا عليها في المتون العلمية، المتنوعة التي ظهرت على مدى العصور وتوالي القرون"[49] لكن الأفلام التي جمعت ضاعت في الحرب العامية الثانية وصرف النظر عن الموضوع، وانتقد "برجستراسر" طبعة فلوجيل للقرآن الكريم التي كانت أشهر الطبعات في أوربا واكتشف أغلاطا ومغالطات هذه الطبعة وعارض استعمالها، ولما ظهرت طبعة الأزهر أثنى عليها وقال فيها:" إنها إنجاز جد ممتاز نهدي لأجله التهنئة الصادقة إلى العلماء المصريين(...)

إنّ هذه الطبعة إنجاز ليس بإمكان الاستشراق الأوروبي تقديم ما هو أفضل منه أو يوازيه[50]

6- رأي العلماء والعارفين في برجستراسر:

نحاول ذكر ما تيسر من الآراء على كثرتها، يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي "...برز في نحو العبرية واللغات السامية، عنيّ بدراسة اللهجات العربية وبقراءات القرآن"[51] وقال فيه (يوهان فوك):" سنة (1933) نهاية عالم حمل تباشير كثير من المعارف[52] وقال فيه الزركلي:" تصانيفه بالألمانية غزيرة الفائدة[53] ، كما قال فيه الدكتور محمد حمدي البكري: "وكان خبيرا بصفة خاصة بالسريانية...يتكلم كواحد من أهلها، بل كعلم من أعلامها والمشتغلين والعارفين بأسرارها...ولا أذكر مرة أنه لحن رغم أعجميته"[54]، وقالت فيه الدكتورة (سما زكي المحاسني): "وكان من المهتمين بالتراث وقواعد تحقيق المخطوطات. "[55] وهناك الكثير من الآراء التي لا يتسع المقام لذكرها، بحيث ركزنا فقط على أهل الاختصاص في العلوم اللغوية والاستشراق، خاصة من المستشرقين ومن بين أبرز الآراء التي قيلت فيه ما قاله (شتيفان فيلد) حين قال:"...وكان أبرز عالم عارض طبعة فلوجيل (...) ولعلكم تسمحون لي بالقول أنه حفيد روحي لبرجستراسر..."[56] .

7. خاتمة:

عالجت هذه المداخلة موضوع **اسهامات المستشرق " برجستراسر" في خدمة اللغة والثقافة العربية الاسلامية**، وقد كانت هذه المعالجة من حيث مفهوم الاستشراق في المعاجم اللغوية وعند الباحثين العرب والغرب المعاصرين والمهتمين بالحركة الاستشراقية عموما، كما تطرقنا في هذه المداخلة إلى نشأة الاستشراق عبر التاريخ، وحاولنا ابراز دوافع الاستشراق والمستشرقين، ثم ركزنا في الجزء الثاني من المداخلة على ابراز شخصية المستشرق " برجستراسر" من خلال التطرق الى حياته ونشأته العلمية، ومبينين أهم مؤلفاته في مختلف العلوم ، وخاصة في مجال اللغة والقراءات القرآنية، وقد تتبعنا منهجه في تحقيق المخطوطات، وقد توصلت هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

- ✓ أنَّ الاستشراق (Orientalisme) تعبيرٌ يدل على الاتجاه نحو الشرق من أجل اجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الاسلامي ، خاصة الدراسات المتعلقة بالدين واللغة والمجتمع.
- ✓ على الباحث المسلم التروي قبل الحكم على المستشرقين عموما، بل وجب عليه البحث والتدقيق، ومناقشة المستشرقين، ومحاورتهم بالمنهج العلمي .
- ✓ تميَّز الاستشراق الألماني عموما بالروح العلمية، والموضوعية، والتجرد والانصاف، فالمستشرقون الألمان لم يخضعوا لغايات سياسية أو دينية أو استعمارية، فكان اهتمامهم بالدراسات الشرقية القديمة، والآثار، والآداب والفنون لغرض علمي ومعرفي بحت.
- ✓ يعد "برجستراسر" من المستشرقين الذين خدموا اللغة العربية، وساهموا في الكشف عن الكثير من الغموض، وذلك من خلال منهجه العلمي في تحقيق المخطوطات، والدراسات المعمقة حول القرآن والقراءات.
- ✓ "برجستراسر" مستشرق معتدل، وباحث أكاديمي، له عدة دراسات حول الثقافة العربية الاسلامية، لكنَّه لم ينل حقه من الاهتمام من طرف الباحثين العرب المختصين في الحركة الاستشراقية، وذلك بإخراج دراساته المختلفة، خاصة التي تبحث في الفقه الاسلامي والقراءات القرآنية، وترجمتها ومناقشتها وفق المنهج العلمي

والحقائق الثابتة، وإبراز ما فيها من صواب، وبيان الاجتهادات والنتائج الخاطئة التي توصل إليها.

- ✓ بات من الضروري على السلطات العليا في العالم العربي والاسلامي الإسراع للحصول على مختلف النُسخ والمخطوطات القيِّمة المتواجدة في مكتبات الجامعات الألمانية، والتي جمعها المستشرق "برجستراسر" وخاصة المصاحف القديمة منها، ففي ألمانيا توجد الآلاف من المؤلفات والمخطوطات القيمة.
- ✓ ضرورة تشكيل مراكز ومعاهد متخصصة، تعمل على ترجمة أعمال المستشرقين، تتضمن مراجعات دقيقة، حتى نتفادى التأويلات والتحريفات، وألاّ نُحمِّل كلامهم ما لا يحتمل.

8. الهوامش:

1 – مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مكتبة لبنان، بيروت1988، ص141.

2 – المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، الطبعة الثالثة ، 1/ 499.

3 – أحمد سمايلو فيتش، فلسفة الاستشراق، دار المعارف، مصر، ص30.

4– الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ط2، الرياض 1989، ص30.

5 – ينظر: ميشال جحا، الدراسات العربية الإسلامية في أوروبا ، معهد الإنماء العربي (د.م/ دت) 82/1.

6 – مالك بن نبي، انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد، بيروت،ط1 1969، ص5.

7 – يُنظر: محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفيَّة الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة/1997، ص20.

8 – زقزوق، الاستشراق والخلفيَّة الفكرية للصراع الحضاري، ص43.

9 – رعد شمس الدين الكيلاني، الإسلام والاستشراق، مركز البحوث والدراسات الاسلامية، بغداد، 2006، كلمة الناشر.

10–عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين،ط3، بيروت لبنان، 1993،ص85

11–محمد حمدي البكري، أصول نقد النصوص ونشر الكتب (محاضرات برجستراسر)، دار المريخ للنشر، الرياض السعودية، 1982، ص6

12–ينظر محمد حمدي البكري، أصول نقد النصوص ونشر الكتب ص6

13–عبذ الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص85

14–ينظر محمد حمدي البكري، أصول نقد النصوص ونشر الكتب ص6 7 8

15– ينظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين،85

16–رمضان عبد التواب، التطور النحوي للغة العربية ، مكتبة الخانجي ،القاهرة ،ط2 1994، ص4

17–ينظر: المصدر نفسه ص4

18- ينظر: مهدي فضل الله، أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، دار الطليعة للنشر، ط2 بيروت لبنان 1998، ص 142

19 – رمضان عبد التواب، التطور النحوي للغة العربية، المقدمة ، ص3.

20 – المصدر نفسه، ص07.

21 – يُنظر: م ن ، ص 221.

22 – عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص86.

23 – المصدر نفسه، ص86.

24 – ناصر بن محمد بن عثمان المنيع، المستشرق الألماني برجستراسر وآثاره في الدراسات القرآنية ومنهجه فيها، مجلة الملك سعود للعلوم والدراسات الإسلامية ، العدد 2010/22، ص138.

25 – رمضان عبد التواب، الجغرافية اللغوية وأطلس برجستراسر، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد1986/38، ص120-121.

26 – عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص86

27 – ناصر بن محمد بن عثمان المنيع، المستشرق الألماني برجستراسر وآثاره في الدراسات القرآنية ومنهجه فيها، ص139.

28 – عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص85.

29 – العالم عمر لطفي، تاريخ حركة الاستشراق ، الدراسات العربية الاسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين، يوهان فوك، دار قتيبة، دمشق، سوريا، ط1/1996، ص342.

30 – العالم عمر لطفي، تاريخ حركة الاستشراق، ص343.

31 – ينظر: ديتزيش ألبرت جونتن، الدراسات العربية في ألمانيا(تطورها التاريخي ووضعها الحالي)، دار المعارف الإسلامي، 1962، ص16.

32 – محمد حمدي البكري، أصول نقد النصوص ونشر الكتب (محاضرات برجستراسر)، ص8.

33 – عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص86.

34 – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

35 – م ن ، ص ن.

36 – م ن، ص ن .

37 – يُنظر : أبو عبد الله الزناجي ، تاريخ القرآن الجزء الثالث، دار الحكمة للطباعة والنشر، دمشق سوريا ، ط1/1990، ص574.

38 – عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص86

39 – رودي بارت، الدراسات العربية في الجامعات الألمانية ، ترجمة ماهر مصطفى، دار الكتاب العربي، القاهرة، ص27

40 – ينظر: العالم عمر لطفي، تاريخ حركة الاستشراق، ص342.

41 – ناصر بن محمد بن عثمان المنيع، المستشرق الألماني برجستراسر وآثاره في الدراسات القرآنية ومنهجه فيها، ص145.

42– ينظر برجستراسر، أصول نقد النصوص ونشر الكتب ص 14

43– نفسه ص 17 18

44– ينظر برجستراسر، أصول نقد النصوص ونشر الكتب ص 85

45– ينظر محمد ماهر حمادة، المصار العربية المعرّبة، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط3 1981 ص105

46 – ينظر: جوتهلف بير جستراسر أصول نقد النصوص ونشر الكتب، ص102 105

47–عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين ص 82

48– أبو عبد الله الزناجي، تاريخ القرآن الجزء الثالث، ص678

49– المصدر نفسه ، ص 22

50–اشتفان فيلد، ملاحظات على مساهمات المستشرقين في الدراسات القرآنية ص 9 10

51– عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين ص 85

– يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، ص 343 52

53– جوتهلف برجستراسر ،مرجع سابق، ص 144

54–رمضان عبد التواب، في أصول نقد النصوص ونشر الكتب ص5

–نفسه ص 5 55

56– شتيفان فيلد، ملاحظات على إسهامات المستشرقين في الدراسات القرآنية، ص9